مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة الزلزلة

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة الزلزلة

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

تناولت سورة الزلزلة شأن البعث من القبور، وصدور الناس أشتاتاً لرؤية أعمالهم، من أجل الحساب والجزاء. فقال الله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ إذا حُرِّكت الأرض حركة شديدة عند سماعها صوت إسرافيل يوم القيامة، فتهشم الجبال، ويتكسر ويتحطم كل ما عليها من شدة زلزلتها، فلا يبقى شيء قائم على ظهرها. ثم تتزلزل ثانية فَتُخْرِج أثقالها ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ فتُخرج جميع ما فيها من أثقال، وهم الموتى من الناس. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى أحياء، والميت في بطن الأرض ثِقَل لها. وهو فوق ظهرها حياً ثِقل عليها[1] وقد أضمر البيان نوع الأثقال للتهويل. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: إظهار في مقام الإضمار لقصد التهويل[2] فأسماه سبحانه وتعالى ﴿أَثْقَالَهَا﴾ بما يفيد أن لهذا الإنسان ثِقَل على الأرض.

ثم يخبر الله تعالى بحال الإنسان عندما يشعر بما هو فيه من اضطراب الأرض وعظيم حركتها على غير ما اعتاد منها. فقال عَزَّ وجل ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ ما الذي حدث للأرض، سؤال استغراب واستنكار مما أبهره من شأنها وخطبها. مما يبين هول شدة ذلك اليوم العظيم، فاستعظم ذلك الأمر والشأن.

وفي ذهول وتهول الإنسان من زلزلتها ما يفيد أن هذه الزلزلة هي زلزلة يوم القيامة، التي هي من أشراط الساعة. ثم تحصل النفخة الثانية التي يخرج منها الناس للحساب. وذكر القرطبي رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: في النفخة الأولى يزلزلها، ثم تزلزل ثانية، فتخرج موتاها، وهي الأثقال.

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٥٥٨)

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢/٧٨٢)

وكذلك عن ابن عباس ومجاهد ﴿ أَثْقَالَهَا ﴾ موتاها، تخرجهم في النفخة الثانية، ومنه قيل للإنس والجن: الثقلان[١] فاشتمل البيان الكريم على النفختين الأولى عند سؤال الإنسان ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ والثانية عندما تُخرج الأرض أثقالها.

وورد في سورة: يس، انبهارهم من البعث، كما قال الله تعالى عنهم ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ فبينت الآية الكريمة أنهم كانوا رقاد ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ من الذي أخرجنا من قبورنا. قال المفسرون رحمهم الله تعالى: إنما قالوا هذا لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين. قال أُبي بن كعب: ينامون نومة قبل البعث، فإذا بُعِثُوا قالوا هذا[٢] لينتقلوا بمفاجأة النفخة الثانية من البعث إلى ما هم فيه من السعي لربهم مسرعين مرغمين. وهو سؤال يدل على المفاجأة التي تعجب منها الكفار، والتي لا يتمنونها، وكذلك إفادة التحسر والتوجع والندامة بما يرون أمامهم مما أعده الله تعالى للكافرين. فتمنوا البقاء على نومتهم.

ثم يُخبر الله تعالى أن من شدة هول ذلك الوقت أن أخبارها وأحداثها تُفصحُ للجميع عن حقيقة ذلك الحدث، فعرف الإنسان بتلك الأحداث أنه يوم القيامة، وأنه البعث للحساب والجزاء، فقال عَزَّ وجل ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ يومئذ تبين وتُظهرُ الأرض أخبارها بالزلزلة والرجفة، وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها، قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: فكأن معنى ﴿ تُحَدِّثُ ﴾ عند سعيد بن جبير: تُنْبِئ. وتُنبئُها أخبارها إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها. وهذا قول عندي صحيح المعنى. وتأويل الكلام على هذا المعنى: يومئذ تبين الأرض أخبارها بالزلزلة والرجة، وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها، بوحي الله إليها وإذنه لها بذلك. وذلك معنى قوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ وقيل أن الأرض تُحَدِّث بما كان وسار على ظهرها من أهل الطاعة والمعصية، وما عملوا عليها من خير أو شر[٣] ثم يخبر الله تعالى بأن ما يكون من الأرض من التغيير هو بسبب ما أمرها الله تعالى به. فقال عَزَّ وجل ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أي: أمرها،

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٠٠/٢٠)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٧٥/٦)

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٦٠/٢٤)

فألقت ما فيها، وتخلت عنهم. فكل شيء يكون بحسب ما يريد الله تعالى. وكل شيء ينطق إذا أراد الله تعالى إنطاقه. فله الملك وله الحكم والسلطان.

ثم يخبر الله تعالى عن توزيع الناس بعد الحساب. فقال عَزَّ وجل ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ والصدور هو الرجوع، وهو ضد الورود. أي: يأتون موقف الحساب ﴿أَشۡتَاتٗا ﴾ أي: فرقاً. فأهل الإيمان على حدةٍ، وأهل الكفر على حِدَةٍ ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: ليروا جزاء أعمالهم. والمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار(١) لأن والصدور هو الرجوع، وهو ضد الورود.

ثم يخبر الله تعالى أن من دقة عدله سبحانه وتعالى أنه يجازي على كل صغيرة مهما بلغت في الصِّغَر، كما يجازي على كل كبيرة مهما بلغت في الكبر. فقال الله تبارك وتعالى ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ فكل من عمل عملاً صغيراً أو قليلاً من الخير فإنه سوف يراه مهما كان ذلك الخير في صغره وقلته. فمن دقة عدل الله تعالى، ودقة الإحصاء على العباد، فإنهم يرون كل عمل من الخير عملوه، حتى ولو كان متناهياً في الصغر كالذرة، التي هي النملة الصغيرة في الحجم. وبمثل ذلك يرون أعمالهم من الشر. فقال الله تعالى ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ فكما رأوا أعمالهم من الخير فإنهم يرون أيضاً كل عمل من الشر عملوه، حتى ولو كان متناهياً في الصغر كالذرة، التي هي النملة الصغيرة في الحجم.

ومن دقائق السياق أن أورد البيان رؤية الأعمال من الخير والشر من غير ذكر للجزاء، لاختلاف حال المؤمن وحال الكافر فيما يرى من أعماله. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس مؤمن ولا كافر عمل عملاً خيراً ولا شراً في الدنيا، إلا آتاه الله إياه، فأما المؤمن فَيُرِيه حسناته وسيئاته، فيغفر الله تعالى له سيئاته، وأما الكافر فَيَرُدُّ حسناته، ويعذبه بسيئاته(٢) لأن حسناته لا تُقبل بسبب كفره. مما يبين دقة إحصاء الله تعالى لأعمال العباد، وأن الكافر لا ينتفع بأي خير يفعله، لأنه ارتكب أعظم المعاصي وهي الكفر. وكذلك أفاد البيان الكريم عظيم رحمة الله سبحانه وتعالى بالمؤمنين، مع كمال عدله. وقد أعطى هذا البيان التحذير من الكفر، وأن جزاء الكافر إلى النار، وأن المؤمن إلى الجنة. اللهم إنا نسألك الجنة، وما قَرَّبَ إليها من قول أو عمل، وأن تجيرنا من النار برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٩٣/٨)

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٦٣/٢٤)

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة الزلزلة. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.